٢١ ـ المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

سرعان ما يترك العريس — بعد عودته من المسجد — أصدقاءه في الدور الأسفل ينعمون بتدخين الشبك واحتساء القهوة والأشربة . وتظل أم العروس وأختها أو غيرهما من قريباتها في الدور الأعلى بينما تكون هي والبلانة في غرفة منفصلة . وينبغي أن يبدي العريس الشاب بعض الحياء مثل العروس ؛ فيحمله لذلك أحد أصدقائه في بعض الطريق المؤدي إلى الحريم . وقد تجلى العروس إذا كانت من الطبقات الموسرة أمام العريس في ملابس مختلفة تصل إلى سبعة . وعلى العموم يرى العريس عروسه مع البلانة وحدها ، فيمنحها عند دخوله الغرفة منحة فتنسحب في الحال . وتغطي العروس رأسها بشال لا يرفعه العريس قبل أن يهبها هبة مالية تسمى « كشف الوش[1] » بينما تظهر العروس في سبيل رفع الغطاء نفوراً ومقاومة شديدة لتعبر عن خفرها البتولي . ويبسمل العريس عند كشف النقاب ثم يحيي العروس قائلاً : « ليلة مباركة ! » فتجيبه إن لم يرج عليها من الخجل : « بارك الله فيك » . وقد يرى العريس حينئذ لأول مرة وجه عروسه . ويجد العريس على العموم أن العروس كما وصفت له تقريبا . وكثيراً ما تنجز حينئذ طقوس عجيبة ، فيرفع العريس ملابس العروس جميعها ما عدا القميص ، ويجلسها على حشية سرير يتجه نحو مكة كما يولى ظهر العروس هذه الجهة ، ثم يجذب حجر قميصها إلى الأمام ويبسطه على الحشية ويقف أمامها على بعد ثلاث أقدام تقريبا ويصلي ركعتين واضعا رأسه ويديه عند السجود على هذا الجزء من القميص .

ولا يبقى العريس مع عروسه أكثر من بضع دقائق[1] بعد أن يكون قد أشبع فضوله بمشاهدة جاذبيتها ، ويطلب من النساء — اللاتي يتجمعن عند الباب وهن قلقات — أن يزغردن . وتصل الصيحات الحادة إلى مسامع الرجال في الدور الأسفل وإلى الجيران وتتجاوب النساء بالزغاريد مخبرات أن العريس رضي بعروسه . ثم يهبط العريس إلى اصدقائه ويبقى معهم ساعة أو أكثر قبل أن يعود إلى زوجته . ويندر جداً أن يطلق الزوج زوجه إذا خاب فيها رجاؤه وإنما يستبقيها أسبوعا أو أكثر

* * *

الآن وقد وصفت طريقة الاحتفال بزواج العذراء في القاهرة أضيف بعض كلمات عن بعض حفلات شاهدتها في أحوال أخرى خاصة بالعذارى والثيبات سواء

يندر أن يذهب بنات العظماء إلى الحمام العمومي قبل الزواج لوجود الحمام في المنزل . وعند ما تخلو منازل العائلات الموسرة أو المتحضرة من حمام ، تذهب العروس مع قريباتها وصديقاتها إلى حمام عمومي يستأجرهن خاصة . ويفضل الكثيرات الذهاب إلى الحمام وإلى منزل العريس دون زفة راكبات الحمير فوق البراذع المرتفعة . وتتدثر العروس بشال كشميري على طريقة الحبرة . وقد ترافق حاشية العروس فرقة عوالم يركبن الحمير أيضا ويغنين طول الطريق

وقد يكون لعائلة العروس أو العريس أغاوات فيتقدمون العروس راكبين . وقد يجرى على رأس الزفة رجل يصيح : (صلوا على النبي) وينثر هذا الرجل عند باب المنزل بعض أوراق السلق ليسير عليها السيدات اتقاء لأحداث الدهر . ثم يصيح الرجل نفسه قائلاً : « نصر من الله وفتح قريب »

وقد يتم عقد الزواج عند المصريين من غير أبهة ولا احتفال حتى في حالة زواج العذراء ، برضا عائلتي العروسين المتبادل ، أو بموافقة العروس نفسها . أما الثيب فلا تزف أبداً عند الزواج . ويكفي أن تقول المرأة لمن يتقدم لزواجها : « وهبت لك نفسي » فتصبح امرأته شرعا متى كانت بالغة حتى من دون شهادة إذا استحال الحصول عليها . وقد يعقد المسلمون في مصر وغيرها من البلاد

(١) كلمة (وش) تحريف عامي لكلمة وجه أو وجه (بتطفيش الجيم) ١٨٠٤

(١) أرجو من يرغب في بعض التفصيل أن يرجع إلى مير كهاردت ص ١١٧ فقد يكون وصفه أكمل ، ولكن يبدو أنه مني بالايجاز في هذه الحالة بصفة خاصة .

العربية الزواج بالثيب بهذه الطريقة البسيطة . ويبلغ مهر الثيب على العموم ربع مهر العذراء أو ثلثه أو نصفه

وتتم حفلات الزواج فى القاهرة عنـد الطبقات التى تعلو الطبقات السفلى وإن حقرت معيشتها بنفس طريقة الطبقة الوسطى . إلا أنهم يراعون البساطة عندما يستحيل تحمل نفقات مثل هذه الزفة السابق وصفها ، فتسير العروس متدثرة بشال أحمر ويحيط بها فريق من قريباتها وصديقاتها فى أحسن حللهن أو فيما يستعرن من الملابس. ولا يبهج الموكب من صيحات الفرح غير الزغاريد التى يرددنها من وقت لآخر

وتختلف الزفة فى القرى عن الزفة السابقة . فالعادة أن تركب العروس جملاً وهى متدثرة بشال حتى تبلغ منزل العريس . وقد يجلس معها على الجمل بعض النساء والبنات ، اثنتان على جانبها واثنتان أو ثلاث وراءها . ويكون الهودج كبيراً ويغطى بالبسط وغيرها . ويتبع العروس جماعة من النساء يغنين . وكثيراً ما يتقابل أصدقاء الطرفين وصديقاتهما في منزل العريس مساء يوم الاحتفال والأيام السابقة ويلهون فى الهواء الطلق طويلاً بالأغانى والرقص الذى ينقصه المهارة على ألحان الدف والطبل . ويغنى الجميع رجالاً ونساء ويرقص النساء فقط . وقد اختصرت الكلام فى وصف الحفلات الريفية لتجنب ترديد الوصف فى موضوعات متشابهة . ولنرجع إلى عادات أهل القاهرة .

فى الصباح التالى للزفاف يعرض (الخولات[1]) والنوازى (رجالاً ونساء) ألعابهم أمام منزل العريس أو فى الفناء[2] . وفى الصباح عينه إذا كان العريس شابا يدعوه الشخص الذى سبق أن حمله إلى الحريم إلى قضاء اليوم فى الريف مع الأصدقاء . ويسمى هذا (الهروبة) . وقد ينظم ذلك العريس نفسه ويشترك فى النفقات إذا زادت على ما يقدمه أصدقاؤه من النقوط فى هذه المناسبة . ويستأجر الموسيقيون والراقصات لتسليتهم . ويسير العريس من الطبقة السفلى فى مؤخرة الموكب مسبوقا ببعض الطبالين والزمارين . ويحمل كل من أصدقائه وغيرهم باقة من الزهر كما يفعلون عادة فى زفة الليلة السابقة . ويرافق الحاشية حاملو المشاعل والمصابيح عنـد عودتها بعد الغروب بينما يحمل الأصدقاء علاوة على الباقات شمعا[1] . وهناك حفلات لاحقة تقام بمناسبة الزواج أيضا ستوصف فى فصل لاحق

ويفضل العريس على العموم إذا وفق إلى ذلك أن تعيش أمه فى منزله حتى يتسنى لها أن تحمى شرف زوجته وبالتالى شرفه أيضا . ويقال إن الحماة تسمى كذلك لهذا السبب[2] ويقال إن المصريات يملن إلى الدسائس، وأخشى ألا يكون هذا الحكم ظلماً . وقد يسكن الزوج زوجه فى بيت أمها ويتولى الإنفاق عليهما . وهذا يوجب على الأم أن تهتم بالنفقات جد الاهتمام وأن تدقق فى ملاحظة ابنتها خوفا من أن تطلق . ولكن يقال إن الأم فى هذه الحالة تعمل وسيطة لابنتها ، فتعلمها الحيل والمكايد التى تتسلط بها على زوجها وتبذر نقوده . ويندر أن يقل الخوف من تأثير أم الزوجة عليها ولو كانت لا تنعم برؤية ابنتها إلا فى مناسبات عرضية . ولذلك يرى الرجال أنه من الحكمة أن يتزوجوا بنتاً لا أم لها ولا قريبات ، حتى إن بعضهم يحزم على زوجته أن تستقبل امرأة غير قريباته ؛ ولكن قلما يفرض هذا التقييد الشديد .

(يتبع) حسن طاهر نور

(١) ويسمى الخول أيضاً (غايش) وجمعها (غياش)

(٢) ويسمى هذا (... ة العروس)

(١) ويتقابل أصدقاء العروسين وأقاربهما فى ريف الصعيد فى اليوم اللاحق للزواج . وترقص العروس وقتاً قصيراً على نغمات تصفيق الرجال والدفوف وغيرها . وتطرح العروس على رأسها طرحة تصل إلى الكعبين وتغطى وجهها تماماً بمنديل من القطن للطبوع وتتحلى بأجل ملابس العرس التى تعلق على باب الدار بعد الزواج فى بعض مناطق ريف مصر . ثم يتم الرقص بعض النساء محتجبات كالعروس ومتدثرات بأحسن ملابسهن أو ما يستعرن .

(٢) وينطقها العامة (حمه) وهى مشتقة من فعل حمى يحمى صان ووقى

إحجز نسختك من الآن فى كتاب :

مراجع فى أصول اللغة والأدب

تأليف الأستاذ العوضى الوكيل

وهو يشتمل على مقرر مادة المراجع فى امتحان الترقية إلى التعليم الثانوى (لغة عربية) هذا العام

الاشتراك قبل الطبع ١٥ قرشاً

عدد النسخ المعروضة للاشتراك الآن ١٥٠

يقفل باب الاشتراك فى ٥ يناير سنة ١٩٤٢

ترسل الاشتراكات إلى المؤلف

بمدرسة الأمير فاروق الابتدائية — مكتب بريد حدائق شبرا — مصر